

المناظرات الدينية وإمكانيات بناء فضاء لمعرفة الآخر: مناظرات "الإمام" الرضا مع أهل الأديان الأخرى أنموذجاً

Religious Debates and the Possibilities of Creating a Space for Knowing the Other: The Debates of Imam al-Ridā with Followers of Other Religions as a Model.

فؤاد عامري

المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات بسببيلة - جامعة القيروان - تونس

amrifouad12@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/12/26	تاريخ القبول: 2025/12/25	تاريخ الإرسال: 2025/12/06
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص

فتحت المناظرات الدينية في الثقافة العربية الإسلامية آفاقاً مهمة أمام الأطراف المشاركة فيها ونقلتهم إلى أشواط متقدمة من المعرفة بالآخر والوعي بالعالم، ولكنها إلى ذلك قد تورطت في الكثير من الأحيان في السياسي ولم تقدر على تجاوزه. لذا يرمي هذا المقال إلى الاشتغال على مناظرات الرضا مع أهل الأديان الأخرى في مجلس الخليفة العباسي المأمون أنموذجاً. فهذه المناظرات لا تضطلع بوظيفة مصطنعة بقدر ما تهدف إلى النيل من الخصم سياسياً ودينياً في الآن ذاته. ولم يستمر الأمر على هذا المنحى، فقد نجحت هذه المناظرات ولو جزئياً في كسر الأطواق المغلقة "للمساجلات" وأشرعت أبواب معرفة الآخر الديني دون قلق وخوف، وهي معرفة تتبني في البعض منها على شروط علمية دقيقة وتتخطى كل اعتباراً عفوية.

الكلمات المفتاحية: المناظرات - الرهان السياسي - الرهان العلمي - الآخر الديني - الجدل.

Abstract

It is clear that religious debates in Arab-Islamic culture have opened important horizons for the parties involved in them and moved them to advanced stages of knowledge of the other and awareness of the world, but they have often become entangled in the political and have not been able to transcend it. Therefore, this article aims to work on the debates of al-Ridha with the people of other religions in the council of the Abbasid Caliph al-Ma'mun as an example. These debates do not fulfill a fake function as much as they aim to undermine the opponent at the same time politically and religiously. These debates have partially succeeded in breaking the closed rounds of "musajalat" (debates) and opened the doors to knowing the religious other without anxiety and fear; some of this knowledge is based on rigorous scientific conditions.

Keywords: Debates - Political Stakes - Scientific Stakes - Religious Other - Controversy.

مقدمة

ما معنى أن يتم الربط بين المناظرات¹ الدينية في التراث العربي الإسلامي ومعرفة الآخر؟ يبدو هذا الربط شبه مستحيل في الظاهر لاختلاف وظيفة كل من الطرفين إلى حدّ التناقض، فالمناظرات تُحيل على خلق حالة من التنافس الذي يتخذ في أكثر الأحيان مسارات دينية وطائفية ومذهبية وجدلية. وهي حالة يُمكن أن تُلغي كلّ إمكانات التعايش وضروب التواصل في صورة خروجها عن سياقها الأصلي. أمّا معرفة الآخر، فهي تُمثّل عملية تتجاوز مجرد التعرّف على المظهر الخارجي لهذا الآخر إلى بناء جسر للتواصل معه ومعرفته بدقّة. ولكن لا يُمكن التسليم فقط بعلاقة الانفصال هذه، بل يُمكن لهذا الأمر أن يفتح الأفق للبحث في الترابط بين المناظرات ومعرفة الآخر. فتتظلم المناظرات في التراث العربي الإسلامي يُبين أنّ الآخر ضرورة عملية لا مهرب منها والتواصل معه واقع حتمي فرضته مقتضيات الحياة وموجباتها. وهذا ما يدعونا إلى الوقوف على مدى مساهمة المناظرات الدينية في التعرّف على المغاير دينيًا على نحو عميق ودقيق.

ولعلّ أشهر المناظرات في الثقافة العربية الإسلامية التي يُمكن تخيّلها أنموذجاً لتحقيق هذا المقصد، مناظرات الإمام الثامن عند الشيعة الإثنى عشرية عليّ بن موسى الرضا² (ت 203 هـ / 818 م) مع أهل الأديان الأخرى في مجلس الخليفة العباسي المأمون³ (ت 218 هـ / 833 م). فهذه المناظرات انتظمت بشكل رسمي بإشراف مباشر من السلطة السياسية. وهذا ما يجعل هذه المناظرات تتشكل في

أحضان السياسيّ وغير قادرة على التحرّر منه لأنّ "السلطة تمتلك السيادة الكاملة على المقدّس ويُمكن استعماله لمصلحتها وفي كلّ الظروف"⁴. إذن، فتوظيف مناظرات "الإمام" الرضا مع أهل الأديان الأخرى في بناء فضاء لمعرفة الآخر يتنازع رهانان مختلفان هما: الرهان السياسيّ والرهان العلميّ. وهذا ما يسمح بطرح إشكاليّة رئيسيّة، مفادها: أ كانت مناظرات "الإمام" الرضا مع أهل الأديان الأخرى محض مواجهة وصراع وقطيعة أم انطوت على وجوه أخرى تعكس التواصل مع المغاير دينيًا ومحاولة استكشافه والتعرّف عليه؟

ولا يُمكن أن نتغافل في عملنا هذا على ما تطرحه مناظرات الرضا مع أهل الأديان الأخرى من إشكاليّة مألوفة في الثقافة العربيّة الإسلاميّة⁵، وهي تتعلّق بمدى تطابق هذه المناظرات حسب الرواية المتداولة مع التاريخ الفعليّ ووقائعه، وهذا ما يجعلنا نعلم إلى الاهتمام في العنصر الأول من عملنا بمناظرات "الرضا" مع أهل الأديان الأخرى بين المرجع والمتخيّل، ومن ثمة سننتقل للاشتغال في العنصر الثاني على الرهان السياسيّ للمناظرات وبناء فضاء لمعرفة الآخر منتهين في العنصر الثالث إلى رهان المناظرات العلميّ وخلق فضاء لاستكشاف الآخر.

• المدوّنة

وردت مناظرات "الإمام" عليّ بن موسى الرضا مع أهل الأديان الأخرى مثل الجاثليق⁶ ورأس الجالوت⁷ والهرّبذ الأكبر⁸ وعمران الصابي⁹ في مجلس المأمون في شكل أخبار نقلها مؤلّفون من الشيعة الاثنى عشرية ضمن مصنّفات تخصّ "الإمام" عليّ بن موسى الرضا بمفرده أو تخصّ الأئمّة جميعاً. وتكاد مناظرات "الرضا" تُعاد بنفس الطريقة من حيث المضامين وأسلوب الكتابة عند العديد من المؤلّفين الناقلين لها، مثل محمّد بن عليّ بن بابويه القميّ (ت 381 هـ / 991 م) المعروف لدى الشيعة بـ "الشيخ الصدوق" في كتاب "عيون أخبار الرضا"¹⁰ وأبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ (تُوفيّ في حدود سنة 620 هـ / 1223 م) في كتاب "الاحتجاج"¹¹ ومحمّد باقر المجلسيّ (ت 1111 هـ / 1699 م) في كتاب "بحار الأنوار"¹².

وقد بلغ التشابه أشدّه بين الكتب الثلاثة في نقلها لمناظرات الرضا مع الجاثليق ورأس الجالوت والهرّبذ الأكبر وعمران الصابي إلى حدّ أنّها ابتدأت جميعاً بنفس العبارة: "لَمّا قدم ... وانتهت بنفس العبارة: "... فأصاب الرغائب" بغضّ النظر عن بعض الاختلافات البسيطة الحاصلة بين هذه المصنّفات. ويُعدّ هذا التشابه أمراً منطقيّاً مادامت هذه الكتب وغيرها قد نقلت أخبار الرضا ومناظرته مع أهل الأديان الأخرى في مجلس المأمون عن راوٍ واحد، وهو الحسن بن محمّد النوفليّ الذي كان حاضراً في هذه المناظرات حسب الخبر الذي رواه. وهذا ما يقطع مع ظاهرة "تعدّد الرواة للخبر الواحد" التي يُمكن أن

تؤدي إلى اختلاف في الروايات لهذا الخبر من حيث الألفاظ أو المعاني أو التفاصيل أو المقامات التي وقعت فيها الوقائع المروية.

وتتمثل مضامين مناظرات الرضا مع أهل الأديان الأخرى فيما يلي:

- مع الجاثليق: دارت حول نبوة عيسى وصفات الله ونفي التثليث.
- مع رأس الجالوت: ركزت على نبوة محمد وأحقّيته.
- مع الهرّب الأكبر: مناقشة مسائل تتعلق بالتوحيد والصفات الإلهية.
- مع عمران الصابي: دارت حول مسائل التوحيد والوجود.

1- مناظرات "الرضا" مع أهل الأديان الأخرى بين المرجعي والمختل

لم نجد أدنى إشارة إلى مناظرات "الإمام" عليّ بن موسى الرضا مع أهل الأديان الأخرى في مصنفات بقيّة الفرق الإسلامية مثل السنّة والمعتزلة والخوارج... وهذا حسب ما توفّر بين أيدينا من مؤلّفات، إذ اقتصر ذكر هذه المناظرات على المصادر الشيعيّة دون غيرها. ذلك أنّ أبا عليّ عمر السكوني (ت 717 هـ / 1317 م) - الذي يعدّ من أعلام المالكيّة في القرن السابع الهجري¹³ - لم يشر في كتاب "عيون المناظرات" إلى مناظرات "الرضا" مع علماء "الملل والنحل" في مجلس المأمون رغم أنه ذكر مناظرات وقعت في هذا المجلس، مثل المناظرة التي جمع فيها المأمون بين كلثوم بن عمرو العتابي وابن فروة النصراني¹⁴، والمناظرة التي جمعت بين المأمون نفسه وأحد أعلام الثنوية¹⁵... وبتتبّعنا لكتب التراجم والطبقات عند أهل السنّة في تعريفها لعلّي بن موسى الرضا، لم نجدها تتحدّث إطلاقاً في تعريف هذا الرجل عن أي مناظرة له مع علماء "الملل والنحل" في مجلس المأمون، رغم أنّها لم تنف علاقة "الرضا" بهذا الخليفة العباسي¹⁶. ولكن ما معنى أنّ يقتصر حضور مناظرات "الإمام" عليّ بن موسى مع أهل الأديان الأخرى على مدوّنة الشيعة دون سواها؟ وهل أنّ تغييبها عن مدوّنة بقيّة الفرق كان مقصوداً نتيجة الصراعات المذهبيّة وللحطّ من شأن أئمّة الشيعة؟

ومن شبه المؤكّد أنّ تدوين مناظرات "الرضا" مع أهل الأديان الأخرى في مصادر الشيعة فقط، هو ما جعل عبد المجيد الشرفي في أطروحته للدكتوراه الموسومة بـ: "الفكر الإسلاميّ في الردّ على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/ العاشر" يعتبر أنّ مجادلة "الرضا" مع الجاثليق "مزعومة"¹⁷، ومعنى ذلك أنّها أمر مفترض وغير مؤكّد، ومن ثمة التشكيك في صحّة تلك المناظرات عموماً. وهو تشكيك لا يمكن الاعتماد عليه والركون إليه والحسم فيه بمجرد ثبوت أنّ المناظرات مدوّنة في مصادر الشيعة دون غيرها، ذلك أنّنا إذا قمنا بعملية عكسيّة وبحثنا عن مناظرات أعلام الفرق الإسلامية الأخرى مع علماء الملل

والنحل التي حصلت في مجلس المأمون في المصادر الشيعية¹⁸، فلا نجد لها حضورا. وكأن الآخر أصبح مقصّي من مدوّنة غيره، وتغيّبه أصبح أمرا مقصودا ولا يعود إلى مدى صحّة الحدث تاريخيا، ومعنى ذلك أن اقتصار خبر ما على مصادر فرقة بعينها دون غيرها ليس مقياسا صحيحا للحكم بصحّته أو كذبه. وبذلك لا يمكن أن نحكم أنّ مناظرات "عليّ بن موسى الرضا" مع أهل الأديان الأخرى مجرد زعم لا علاقة له بالواقع.

أ يكون اقتصار كلّ فرقة على تدوين المناظرات التي شارك فيها أعلامها دون أعلام الفرق الأخرى، مفاده أنّ مضامين الكتب وطبيعتها هي التي تتطلّب تدوين مناظرات الذات فحسب أم مفاده أنّ كلّ فرقة تسعى إلى المنافسة بفضل أعلامها في الدفاع عن الإسلام ضدّ أتباع الأديان الأخرى؟ والفرضيّة الأولى ممكنة، ذلك أنّ محمّد بن عليّ بن بابويه القمي في كتاب "عيون أخبار الرضا" كان مفروضا عليه أن يذكر الأخبار والأحداث التي لها علاقة بالرضا فحسب باعتبار أنّ هذا الكتاب مخصّص بهذا "الإمام" دون غيره من الأئمّة أو أي علم آخر، وأنّ القاضي عبد الجبار في كتاب "المنية والأمل" كان مفروضا عليه أيضا أن يذكر فقط المناظرات التي شارك فيها أعلام المعتزلة باعتبار أنّ كتابه مخصّص لهؤلاء الأعلام فحسب. وأما الفرضيّة الثانية فهي غير ممكنة، ذلك أنّه كان بين العلماء المسلمين مَهْمَا كانت مذاهبهم إفادة متبادلة في دراسة المغاير دينيّا والردّ عليه، فالسني استفاد من المعتزلي، والمعتزلي استفاد من الشيعي.... وعلى سبيل المثال فقد مثّل كتاب "الآراء والديانات" لحسن بن موسى النوبختي الشيعي مصدرا لعديد المؤلفين الذين تحدّثوا عن الأديان من بعده على اختلاف فرقهم، إذ استفاد منه القاضي عبد الجبار المعتزلي في الحديث عن الثنويّة¹⁹، وجمال الدين أبي الفرج عبد الرّحمان بن الجوزي، الذي كان على مذهب أهل السنّة، في الحديث عن النصاري²⁰...

وكان من المتوقّع أنّا سنجد عديد المصنّفين الذين اعتمدوا على مناظرات "الرضا" مع أهل الأديان الأخرى، واستشهدوا بها في الحديث عن المخالف دينيّا والردّ عليه، خصوصا أنّ تلك المناظرات تعتبر من أوّل النصوص التي اهتمّت بهذا الأمر، غير أنّه لم نجد أي مؤلّف، مهما كان مذهبه، قد اعتمد على تلك المناظرات أو استشهد بها عندما تناول غرض الأديان المغايرة للإسلام. وإنّ عدم اعتماد العلماء المسلمين على أقوال "الرضا" في المناظرات التي خاضها مع أهل الأديان الأخرى، ليس حجة تؤكّد أنّ هذه المناظرات "منتحلة" ولا صلة لها بالواقع، بل حجة تؤكّد أنّ المناظرات لم تكن مشهورة لدى المسلمين عموما. فالخبر يمكن أن يكون مشهورا عند فئة من الناس دون غيرهم، ذلك أنّ "لكلّ أناس في جُمْلِهِمْ خُبْرٌ"²¹، ممّا يعني أنّ عدم شهرة خبر ليس دليلا على كذبه.

ولفهم المسألة أكثر، فمناظرات "الرضا" مع علماء الأديان المغايرة للإسلام حسب الشيعة هي من الأخبار، وليست من الأحاديث أو من الآثار، باعتبار أن الخبر لديهم هو "ما ورد عن صاحب المعصوم"²² أمّا الحديث فهو "ما ورد عن المعصوم"²³ والآخر هو "مطلق ما ورد سواء كان عن المعصوم أو عن صاحبه أو عن غيرهما"²⁴، وتلك المناظرات وردت عن صاحب "الرضا" الذي كان حاضرا معه عندما حصلت في مجلس المأمون، وهذا الصاحب هو الحسن بن محمد النوفلي باعتباره الراوي الأول في سلسلة السند الناقل للخبر. وهذا الرجل شيعي، فقد قال عنه أحمد بن علي النجاشي في كتاب "فهرس أسماء مصنفى الشيعة" أنّه "ضعيف لكن له كتاب حسن كثير الفوائد جمعه وقال: ذكر مجالس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان"²⁵.

ومعنى ذلك أنّ الحسن بن محمد النوفلي من الرواة الذين نُسبوا إلى ضعف الرواية ونقل الأخبار، أي أنّه محلّ جرح وطعن وليس محلّ عدالة وثقة. والجرح عند الشيعة الإماميّة له أمارات ودلالات. ويبدو أنّ الجرح في هذا الراوي سببه "روايته عن الضعفاء والمجاهيل"²⁶. ولئن كان ضعف الخبر نتيجة لضعف الراوي، فهذا يعني أنّ الأخبار التي يرويها الحسن بن محمد النوفلي ضعيفة، فضعف الثاني سببه ضعف الأول. ولا يفوتنا أنّ ضعف الخبر يعدّ مدخلا لتشكيك فيه، ولكن هل يعني ذلك أنّ مناظرات "الرضا" مع المغاير دينيّاً المروية عن الحسن بن محمد النوفلي من صنف الخبر الضعيف؟ وإنّ كانت هذه المناظرات فعلا من ذلك الصنف فهو يعني أنّها تدرج ضمن صنف الخبر الضعيف الموقوف "وهو ما روي عن مصاحب المعصوم من النبيّ أو أحد الأئمّة، من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير، مع الوقوف على ذلك المصاحب وعدم وصل السند إلى المعصوم، من غير فرق بين كون سنده متّصلا أو منقطعا"²⁷.

ولا نقصد، من خلال التأكيد على ضعف السند الراوي لخبر المناظرات من داخل فكر الشيعة الإماميّة نفسها، إلى تكذيب الخبر وإثبات أنّه منحول، وإنّما هدفنا البحث في مدى مصداقيّته في منظور الشيعة الاثنا عشرية، باعتبار أنّها تعتمد على ثنائية الجرح والتعديل في تقييم مدى صحّة الخبر. فهذا على مستوى السند أمّا على مستوى المتن، فلا يمكن لنا أن نحدّد أنّ مناظرات "الرضا" مع أهل الأديان الأخرى: حدث مرجعيّ أم متخيّل؟ فلا يخفى أنّ المتن فيه حرص على تثبيت الصورة النمطيّة لـ "عليّ بن موسى الرضا" في ضمير الشيعة الإماميّة، فهذا الرجل له مقام مكين وحظوة اعتباريّة لدى هذه الفرقة، فهي تتأفّف بخصال "الرضا" في الحجاج وفي تمكّنه من جميع اللغات²⁸، وبذلك قدرته على إسكات الخصوم مثما حصل في مجلس المأمون. ولا يخفى ما في هذا الأمر من سعي لترسيخ الصورة النمطيّة التي أقرّها الضمير الجمعيّ للشيعة الإماميّة للإمام الثامن، أ فهذه الصورة النمطيّة لـ "عليّ بن موسى الرضا" تطابق الصورة التاريخيّة ولا تغايرها في شيء أم أنّها طمست ما هو تاريخيّ وغيّبت؟

فمن شبه المستحيل أن نجد مؤلفاً ينقل أخباراً لأسلافه من نفس الفرقة قد انهزموا في مناظرات دينية، لأنه "في كل المناظرات المسجلة في كتب الشيوخ والفقهاء المسلمين، تنتهي المناظرة بانتصار ساحق للشيخ وإسلام الخصم إن كان من غير المسلمين؛ أو انتقاله لمذهب الشيخ إن كانت المناظرة بين مذهبيين، فيعلو نفوذ الشيخ دينياً ويصبح موضع ترحيب وثقة من الأعيان والسلطات وجموع الناس"²⁹. ولا يمكن أن ننكر أن الحرص الشديد على الحفاظ على الصورة النمطية للأسلاف بفضل حيازتهم على ملكة الفهم والتدبر لمكان الحقيقة المثلى، سيؤدي لا محالة إلى تلاشي عديد الوقائع التاريخية للعديد من المناظرات. ولكن مهما تلاشت هذه الوقائع فإنها ستبقى تحتوي على نواة تاريخية حتى وإن كانت بسيطة جداً. وهذا ما ينطبق على مناظرات الرضا مع أهل الأديان الأخرى، لأن "الرواية التاريخية عند المسلمين الأوائل، حتى وإن لم تكن تاريخية كلها، فلا بد أن نجد فيها نواة تاريخية، وهذه النواة هي التي يجب أن نتشبع بها وأن نعتمد عليها لاستخراج باقي مكونات الصورة التي يمكن من خلالها أن نعيد تركيب الحدث التاريخي الذي نبحث عنه"³⁰.

2- رهان المناظرات السياسي وبناء فضاء لمعرفة الآخر

رغم الطابع الديني الظاهر في مناظرات الرضا مع أهل الأديان الأخرى إلا أنها كانت محكومة بمنطلقات يتشابه فيها السياسي والديني بصفة واضحة. لذلك، عمد بعض الدارسين إلى تقديم المنطلقات السياسية على المنطلقات الدينية معتبرين أنها أداة حاسمة في إقامة هذه المناظرات، ففي تصوّرهم يعود تنظيمها إلى الدولة "التي تهدف إلى غاية أو غايات قد تكون معروفة أو مجهولة"³¹، ذلك أن هذه المناظرات تتم بإشراف رسمي من طرف الدولة وبحضور رئيسها الخليفة العباسي "المأمون"، فهو من أمر بإجرائها، ويظهر ذلك بوضوح في قوله لأصحاب المقالات: "إنما جمعتمكم لخير، وأحببت أن تناظروا ابن عمي هذا المدني القادم عليّ، فإذا كان بكره فاغدوا عليّ ولا يتخلف منكم أحد"³². وعلى هذا الأساس لنا أن نتساءل: أ تتجلى هذه المنطلقات السياسية في علاقة المسلمين بغير المسلمين أم تتجلى في علاقة المسلمين في ما بينهم، أي العلاقة بين الخليفة العباسي المأمون و"الإمام" عليّ بن موسى الرضا؟ فالفرضية الأولى تحيل على التنافس السياسي بين المسلمين والمغاييرين في الدين أما الفرضية الثانية فتحيل على الخلاف السياسي بين الفرق الإسلامية.

لم تكن المناظرات الدينية التي أقيمت في مجلس المأمون في زاوية من زواياها الرئيسية مناظرات المؤمنين المسلمين ضدّ المؤمنين من الأديان المغايرة للإسلام، بل كانت محكومة بإرادة النخب السياسية وعلى رأسها الخليفة العباسي "المأمون"، فهو على فطنة مثل بقية الخلفاء من قبله أن "وجود الدّميّين بعدد كبير في دولة الإسلام، ومنذ البداية قد كوّن حاجزاً بين المسلمين وبين تكوين وحدة سياسية شاملة

ومتكاملة³³، وكأنّ الأقليات الدينية تُمثّل خطراً يُهدّد تماسك الدولة باستمرار، إذ يعيش الكثير منهم تحت طائلة التضييق والتهميش رغم فتح المجال أمامهم من طرف الخليفة المأمون لممارسة طقوسهم وشعائهم بكلّ حرية في كامل أرجاء دولته³⁴. ومن الممكن أن تكون المناظرات الدينية وسيلة هذا الخليفة لإقناع أهل الأديان الأخرى باعتناق الدين الإسلامي، ذلك أنّ الولاء الدينيّ سيتبعه ضرورةً الولاء السياسيّ، أيّ الحدّ من فاعليّة كل مشروع سياسيّ بديل تقوده الحركات الدينية المناوئة مثل حركة بابك الخرمي وهي "أخطر حركة دينيّة في المظهر، سياسيّة في الغاية عرفت السلطة العباسيّة منذ قيامها"³⁵ وثورة الأقباط بمصر التي "عمّت الوجه البحري كلّهُ واستمرّت ثمانية أشهر"³⁶. وهكذا، فالسلطة السياسيّة تستهدف خلق نموذج واحد من المؤمنين يشتركون "في نفس المجال الرمزيّ"³⁷ الذي يفرض توجّهاً مخصوصاً ويقصي كلّ مشروع سياسيّ مناوئ.

ومما يؤكّد ما ذهبنا إليه أنّ المناظرات التي جمعت المسلمين مع أهل الأديان الأخرى في مجلس المأمون تنتهي في الكثير من الأحيان بدعوة أهل الأديان الأخرى إلى اعتناق الدين الإسلاميّ بعد إفحامهم من طرف العلماء المسلمين، مثل دعوة المأمون يزدان بخت - وهو أحد رؤساء المانويّة - إلى اعتناق الإسلام، ولكنّه رفض ذلك³⁸، ودخول عمران الصابي إلى الإسلام فعلاً بعد أن أسكته عليّ بن موسى الرضا بالحجّة، وهو ما يظهر في قوله: "نعم يا سيّدي فهمت، وأشهد أنّ الله على ما وصفت ووحّدت، وأنّ محمّداً عبده المبعوث بالهدى ودين الحقّ، ثمّ خرّ ساجداً نحو القبلة وأسلم"³⁹. ويبدو أنّ المأمون قد نجح في تحويل التنافس السياسيّ إلى تنافس علميّ في الظاهر على الأقلّ. وهذا التنافس فرضته طبيعة المناظرة التي تمثّل في جوهرها منافسة علميّة بين طرفين أو أكثر للإقناع بوجهة نظر "الأنا" ودحض وجهة نظر "الآخر" المختلف، ولكن مهما ألبس التنافس السياسيّ بلبوس العلم، فإنّ الفوز في المناظرة سرعان ما يعود إلى أصله الأول، وهو الفوز السياسيّ لأنّ دخول عالم من علماء الأديان الأخرى إلى الإسلام وكسب دعمه للسلطة السياسيّة لن يكون فردياً بل سيكون جماعياً، إذ سيتبعه في ذلك العديد من أتباعه في دينه السابق، فهو صاحب تأثير كبير فيهم.

ولا يرجع عقد مناظرات "الإمام" الرضا مع أهل الأديان الأخرى إلى التنافس السياسيّ مع أهل الأديان الأخرى، بل يرجع في عمقها إلى التنافس السياسيّ بين الفرق الإسلاميّة، وهو ما تُبرزه العلاقة بين الخليفة العباسيّ المأمون صاحب المذهب المعتزليّ وعليّ بن موسى الرضا الإمام الثامن للشيعة الاثنى عشرية. فالمأمون هو من أقحم الرضا في هذه المناظرات حسب الرواية الوحيدة المتداولة في المصادر الشيعة، ممّا يعني أنّ البحث في المغاير دينياً ومناظرته ما كان يحدث أصلاً لولا أوامر السلطة السياسيّة، فهي من أنتجت خطاب التناظر بين الرضا وأهل الأديان وراقبته من خلال حضور

المأمون شخصيًا ضمن مجلس المناظرة. ذلك أنّ أصحاب النفوذ "يأخذون زمام المبادرة في الجدالات أو اللقاءات الحيّة المباشرة أو الخطابات العامة ويتحكّمون في نبرة أو أسلوب النصّ أو الحديث وموضوعاته ويقرّرون من سيكون المشارك أو المتلقّي لخطاباتهم"⁴⁰.

ولا يعني إقحام "الإمام" الرضا في المناظرات مع أهل الأديان الأخرى أنّه سيتكلّم باسم السلطة السياسيّة وسيدافع عن مصالحها السياسيّة، بل سنجدّه على النقيض من ذلك يدافع عن توجّهه السياسيّ الخاص. لذلك حرصنا منذ البداية على استعمال عبارة "التنافس السياسي بين الفرق الإسلاميّة" لأنّها تُحيل على التنافس بين أعلام هذه الفرق لتبيّن مَنْ الأقدر منهم على نقض المنظومة العقديّة والفكريّة للمخالفين دينيًا ومَنْ الأكثر منهم معرفة بهذه المنظومة. فـ "جعل المأمون يندم على إقامة هذه المناظرة" هو الهدف الرئيسي الذي يهدف عليّ بن موسى الرضا إلى تحقيقه، وقد عبّر عن ذلك بصريح اللفظ: "يا نوفلي أحبّ أن تعلم متى يندم المأمون... فإذا قطعت كل صنف ودحضت حجّته وترك مقالته، ورجع إلى قولي علم المأمون الموضع الذي هو سبيله ليس بمستحقّ منه"⁴¹. فالرضا يعي جيّدًا أنّه "في امتحان" حسب تصريح الحسن بن محمّد النوفلي⁴² وأنّ الانتصار على المغاير دينيًا وإسكاته بالحجّة يمثّل في عمقه انتصارًا على المأمون. وهذا ما يؤكّد أنّ العلاقة بين الطرفين كانت متوتّرة ومتشجّعة على الدوام، فقد استمرّ ذلك حتّى بعد تعيين المأمون لعليّ بن موسى الرضا وليًا لعهدّه. وهو ما تكشف عنه في الآن ذاته الدوافع التي دفعت الخليفة العباسيّ إلى القيام بهذا التعيين⁴³ والدوافع التي دعت "الإمام" إلى القبول به⁴⁴ حسب ما هو متداول في المراجع الشيعة. ورغم أنّ هذه الدوافع في مستوياتها المختلفة ترتبط بافتخار الشيعة بـ "إمامها" واستعادة الذاكرة التاريخيّة المشحونة بالصور الخارقة للعادة فإنّها جميعها تنحصر في البعد السياسيّ الصرف ولا تخرج عنه.

وهكذا، يتحوّل البحث في المغاير دينيًا ومناظرته إلى غطاء يحجب التنافس السياسيّ بين الخليفة العباسيّ والإمام الشيعي، ويتحوّل التناظر إلى أداة توهّم بالدفاع عن الدين الإسلاميّ، ولكنّه في الحقيقة يعكس الدفاع عن مصالح سياسيّة مختلفة. فالعملية تبدو متشابكة إلى حدّ كبير، ذلك أنّ الانتصار على المغاير دينيًا في المناظرة سيؤدّي إلى الانتصار على الخليفة العباسيّ "المأمون" والخطّ من شأنه، أمّا انتصار المغاير دينيًا في حدّ ذاته فسيؤدّي إلى الخطّ من شأن "الإمام" الرضا. فحينئذ، يبدأ البحث في المغاير دينيًا - بوصفه الهدف الرئيسي من عقد هذه المناظرات - يتهاوى شيئًا فشيئًا. ممّا يجعله مجرد غاية ثانويّة لا يتمّ تفعيلها إلّا من أجل ترسيخ المشروع السياسيّ الذاتيّ والحدّ من المشروع السياسيّ المضاد. لأنّ مناظرة الرضا مع أهل الأديان الأخرى بقيت حبيسة أوامر الخليفة العباسيّ المأمون في عقده لمجالس المناظرة⁴⁵. فما كان لـ "الإمام" الرضا أن يقوم بتلك المناظرات أصلاً وأنّ يكشف عن معرفته

الدقيقة بأهل الأديان الأخرى - حسب ما ورد في نصّ المناظرة - في حال تراجع هذا الخليفة عن عقد تلك المجالس أو في حال عدم التفكير في إقامتها أصلاً.

وبهذا تتلاشى نهائياً فكرة أنّ الإمام عليّ بن موسى الرضا قد تكلم في مناظراته مع أهل الأديان الأخرى باسم السلطة السياسية التي يُمثّلها الخليفة العباسيّ المأمون، وذلك باعتباره ولياً لعهد هذه السلطة، ويبدو أنّ هذا الأمر ممكن على الأقلّ في نظر أهل الأديان الأخرى، فهم لا يُناظرون الرضا في حدّ ذاته وإنّما يُناظرون ممثّل السلطة السياسيّة، فانتصارهم عليه يعني انتصارهم على السلطة السياسيّة ككلّ وهزيمتهم تعني هزيمتهم أمام هذه السلطة السياسيّة. ولكن هذه الفرضيّة تتعارض كلياً مع الدوافع التي دفعت المأمون إلى إجراء المناظرات حسب ما هو متداول في المراجع الشيعة، مثل محاولة المأمون "الحط من شأن الإمام في عيون الناس... وحصّر شخصيته في الإطار العلمي فقط وتحتيته عن القضايا السياسية بالتدريج..."⁴⁶. ولا يجب أن نتغافل في هذا المقام عن إمكانية تحقيق السلطة السياسيّة في شخص رئيسها المأمون لعدد المكاسب في حالة هزيمة الرضا في مناظرته مع أهل الأديان الأخرى أو في حالة انتصاره، فالهزيمة ستساهم في التضييق على المشروع السياسيّ للإماميّة الاثنى عشرية، أمّا انتصاره فسيُساهم في الحدّ من الآفاق السياسيّة للمغايرين دينياً، ممّا يعني أنّ المأمون قد عمد إلى وضع خصومه السياسيّين في مواجهة مباشرة. ومهما يكن الأمر، فالبحث في الأديان المغايرة للإسلام تشكّل في خضم التنافس بين أفق سياسي معتزلي يهدف إلى المحافظة ترسيخ هيمنته السياسيّة والإيديولوجيّة وأفق سياسيّ شيعي مضاد يسعى إلى ترسيخ مشروعه السياسيّ القائم على الإمامة.

وعموماً، فالتصادم بين المنظورات الدينيّة يُبرّر المساجلات التي دارت في مجلس المأمون جاعلاً منها مواجهة فطريّة بين الحقّ والباطل أو الإيمان والكفر، وهي منظورات تتداخل مع المنظورات السياسيّة إلى حدّ يصعب الفصل بينهما.

3- رهان المناظرات العلميّ وخلق فضاء لاستكشاف الآخر

رغم أنّ الآخر يُمثّل في مناظرات الرضا مع أهل الأديان الأخرى هاجساً وجودياً ومنافساً سياسياً ودينياً ومذهبياً وخصماً يدعو إلى النفور ووضع حدود فاصلة معه، فإنّ هذه المناظرات ظلّت من وسائل إنتاج المعرفة المتعلّقة بـ "الآخر الديني"، وهذه طبيعة المناظرات التي انتظمت في الثقافة العربيّة الإسلاميّة في الأعمّ الأغلب. ذلك أنّ المسلمين والمغايرين في الدين كانوا مجبرين على تخطّي التوترات وترسيخ ثقافة التعايش لتبادل المنافع في جميع المجالات خاصة في مجال المعرفة. فمناظرات الرضا مع أهل الأديان الأخرى بكلّ وجوها لم تمنع من استمرار التعايش بين المسلمين وغيرهم من أهل الأديان الأخرى، بل رسّخت نوعاً من السلم الاجتماعيّ. فالاحترام المتبادل بين المتناظرين كان ميزة هذه

المناظرات، وهو ما يتجلى من خلال التزام جميع الأطراف بقاعدة "مراعاة قدر المناظر" التي تشترط على الشخص أن يراعي المكانة العلمية للشخص الذي يناظره ويحترم آراءه حتى إن اشتد الخلاف بينهما، مثل مناداة "الرضا" لأطراف المناظرة من الأديان الأخرى في بعض الأحيان بـ: "يا رأس الجالوت...."⁴⁷ و"يا جاثليق..."⁴⁸. وهي عبارات تعتمد إلى الإغلاء من شأن الخصم وإلى الاعتراف بقيمته العلمية في دينه.

ولكن الحرص على مناداة الخصوم بألقابهم العلمية يُمكن أن يتجاوز قاعدة "مراعاة قدر المناظر" إلى المنافحة بقدرة الرضا على إسكات الشخصيات القيادية في الأديان المغايرة وقطعهم بالحجة. فما الفائدة أن ينتصر علي بن موسى الرضا على أشخاص عاديين في هذه الأديان؟ فهذا الأمر يقدر عليه أي شخص آخر. فكأنما الخبر المروي يهدف فقط إلى ترسيخ مكانة علي بن موسى الرضا الاعتبارية في الوجدان الشيعي. ولا يُمكن أن نتغافل في المقابل عن نزوع المغايرين دينيًا إلى الإشادة بالقيمة العلمية للرضا والتنويه به، مثل قول الجاثليق: "يا عالم المسلمين"⁴⁹. والواضح أن الرضا لم يُناد حسب ما جاء في نص المناظرة بمزله القيادية عند الشيعة الاثني عشرية وهي "الإمام. مما يعني أن أهل الأديان الأخرى كانوا يدركون أن مناداة الرضا بهذه الصفة ستجعلهم يُنافسون فرقة بعينها من المسلمين، وهي "الشيعة الاثني عشرية"، على عكس عبارة "عالم المسلمين" التي تجعلهم ينافسون كل المسلمين وليس فئة محدّدة منهم.

والمثير للاهتمام أن مناظرات رضا مع أهل الأديان الأخرى لم تتضمن عبارات تُسئ إلى الخصم، وحتى العبارات التي يُمكن الاحتجاج بأنها تشتمل على إساءة إلى الخصم مثل عبارة "فخرس الجاثليق وانقطع"⁵⁰، فهي من إنتاج راوي الخبر، وهو الحسن بن محمد النوفلي، وليس من تلفظ أطراف المناظرة أنفسهم. فمن المعلوم أن الراوي هو الذي يتحكم في كيفية تقديم المعلومات للقارئ، بما في ذلك تخير الألفاظ وترتيب التفاصيل، أي أنه يُقدّم الحقيقة حسب منظوره الشخصي الإيديولوجي، و"هنا أساسا يكمن تدخل المؤرخ (أو الراوي) في الأحداث، وهو تدخل قد يبدو أسلوبياً أو حتى شكلياً... فصيغة خبر ما لا يمكن أن تتلخص من إكراهات اللغة وأدواتها، ومن انتقاء ألفاظ بعينها وتركيبها، وبهذا المعنى تُصبح الكتابة التاريخية نصاً خاضعاً لآليات تحليل غيره من النصوص"⁵¹. وإذا استجلبنا على سبيل المثال راو مغاير في الدين لينقل المناظرات بين الرضا وأهل الأديان الأخرى فإنه سيتجنب توظيف كلمة "خرس" في نص الخبر وسيعتمد كلمة أخرى لا تُحيل على هزيمة أصحابه مثل "نصت"⁵². والفرق بينهما بين، فالأولى تُحيل على العجز عن الكلام والثانية تُحيل على السكوت والاستماع. وبهذا، فالخبر المروي ينطوي على "خلفية معرفية"⁵³ تشاركها مجموعة دينية مخصوصة تمتلك رموزها وحدودها.

ومهما اشتدّ التناظر بين الرضا وأهل الأديان الأخرى، فإنّه لم يبلغ درجة المماحكة التي تعني الجدل والمخاصمة والمنازعة بلا طائل أو بدون فائدة، فجميع أطراف المناظرة تجنبوا انزياح المناظرات إلى المماحكة. وذلك من خلال اتّفاقهم منذ البداية على القواعد الشكلية للمناظرات، وأبرزها مجادلة الخصم بنصوصه المقدّسة وليس بالنصوص التي ينكرها ولا يؤمن بها، وهذا ما اشترطه الجاثليق، إذ يقول: "يا أمير المؤمنين كيف أحاجّ رجلاً يُحاجّ عليّ بكتاب أنا منكره، ونبي لا أؤمن به؟"⁵⁴. ويبدو بذلك أنّ الآخر الديني يرفض رفضاً قاطعاً أن تتمّ معرفته ومجادلته بالقرآن لأنّه يبقى من وجهة نظره غير قادر على الإلمام به على نحو دقيق وعميق. والظاهر في قول الجاثليق أنّه منح الإنجيل بوصفه النصّ المقدّس الأسبقية واعتبره الأكثر نزاهة وشفافية في التعبير عن منظومته العقدية والفكرية. أمّا النصّ القرآني فقد تعامل معه هذا الجاثليق بحذر كبير، إذ ينزع منه كلّ صدقية ويطعن في شرعيّته. وبغضّ النظر عن الطعن في النصّ المقدّس فإنّ قول الجاثليق يُمكن الانطلاق منه لضبط شرط ضروريّ في معرفة الآخر الديني، وهو معرفته من مصادره ومنابعه.

إذن، فالباحث مطالب أن يقرأ للآخر الديني ولا يقرأ عنه. وبذلك تبرز نقطه اتّصال بين مناظرات الرضا مع أهل الأديان الأخرى وعلم الأديان في العصر الحديث، فهذا العلم يقتضي من دارس الأديان أن "يكون عالماً بنصوص المخالف له في الملة، عارفاً تفاصيلها، ملماً بمكوّناتها"⁵⁵. ولكن ما طلبه الجاثليق لم يبق مجرد شرط نظريّ، بل عمد "الإمام" عليّ بن موسى الرضا إلى الالتزام به على المستوى التطبيقيّ، فلم يستجلب في هذه المناظرات أيّ شاهد من القرآن حسب ما ورد في النصّ المرويّ. وهو ما أعلن عنه صراحة في قوله: "إذا سمع احتجاجي على أهل التورية بتوراتهم، وعلى أهل الانجيل بإنجيلهم، وعلى أهل الزبور بزبورهم، وعلى الصابئين بعبرايتهم، وعلى أهل الهرايدة بفارسيّتهم، وعلى أهل الروم بروميتهم"⁵⁶. ويبدو أنّ التزام الرضا بشرط الجاثليق يرتبط ارتباطاً وثيقاً باعتقاد الشيعة الاثني عشرية أنّ الأئمة جميعهم "يعلمون جميع الألسن واللغات ويتكلّمون بها"⁵⁷.

وعموماً، يُمكن أن ندرج مناظرات عليّ بن موسى الرضا مع المغايرين دينياً ضمن المناظرات "التي كانت في الغالب بعيدة عن روح المماحكة، ولحب الاطّلاع نصيب من الدعوة إليها وإثارتها"⁵⁸، والواضح أنّ هذه المناظرات تجاوزت جهل الأنا بدين الآخر، وهو يعني نقص المعرفة والفهم لدى فرد أو جماعة تجاه معتقدات الآخر الديني وممارساته، مما يؤدي إلى سوء الفهم والتحيز والصدام الثقافيّ، وفي أحيان أخرى إلى التعصّب الدينيّ. وقد بدا كلّ طرف من أطراف المناظرات مدفوعاً إلى الإصغاء إلى الآخر الدينيّ وتحويله إلى مجال للتدبّر والنظر والتفهّم. وذلك من خلال استعداد كل أطراف إلى الإجابة عن أيّ سؤال وتوضيحه، مثل قول الرضا للجاثليق: "سل عمّا بدا لك واسمع الجواب"⁵⁹ وقوله لعمران

الصابي: "سل عمّا أردت"⁶⁰ وقول الجاثليق للرضا نفسه: "سل! فإن كان عندي علمها أجبتك"⁶¹. فهذه المناظرات سعت إلى فهم الآخر الديني عبر عدّة جوانب، منها توضيح الاختلافات والتشابهات في المعتقدات والممارسات، وتكثيف المفاهيم المسبقة لدى كلّ طرف.

لقد حاولنا منذ بداية عملنا تصنيف مناظرات "الإمام" عليّ بن موسى الرضا مع أهل الأديان الأخرى ضمن المناظرات المذمومة أو ضمن المناظرات المحمودة. ولكنّه اعترضتنا عديد الصعوبات في ذلك. إذ يمكن أن نُدرجها ضمن أي صنف نُريد وسنجد بحوزتنا عديد الحجج الكافية للدفاع عنه، مثلما سيجد المعارض لتصنيفنا الحجج العديدة لدحضه والدفاع عن التصنيف المقابل. وبذلك سنجد أنفسنا في حلقة مفرغة من الجدل، وهي سلسلة من النقاشات لا توصل إلى حلّ أو نتيجة إيجابية. ومن أجل تجنّب الوقوع في هذه المشكلة، سنعمد إلى بيان التصنيفين وكيفية تجلّي كلّ واحد منهما. فالتصنيف الأول يجعل مناظرات الرضا مع المغايرين دينيًا تتدرج ضمن "المناظرات المذمومة"، وهي "ما أريد بها المماراة والغلبة وطلب بها الرياء السمعة"⁶²، ويظهر ذلك في محاولة "الرضا" إظهار قدراته العالية في إسكات الخصوم بقصد النيل من المأمون الذي أقحمه في هذه المناظرات، فحينئذ، يكون الهدف من التناظر ليس بلوغ الحقيقة، بل تحقيق مكاسب شخصية على حساب هذه الحقيقة. بينما يجعل التصنيف الثاني هذه المناظرات تتدرج ضمن "المناظرات المحمودة" وهي "ما أريد بها إظهار الحق واستعمال الصدق"⁶³. ويتجلّى ذلك من خلال حرص كلّ طرف من أطراف المناظرات على الإحاطة بالآخر الديني بشكل يرفع عنه كلّ غموض ولُبس في عقله المفكّر.

خاتمة

يمكن أن نقرّ بكلّ حذر أنّ مناظرات الرضا مع أهل الأديان الأخرى ساهمت إلى حدّ ما في التأسيس لقاعدة مفادها: كلّما أناظر الآخر الديني، فإنّ معرفتي به ستزداد أكثر، لأنّ المناظرة تتطلّب عدّة قبلية تُتيح للمناظر أن يستكشف هذا الآخر ويتفهّمه جيّدًا حتّى يتمكّن من مجارته في العملية الجدلية، فدون هذه الاستعدادات الأولية ستكون الهزيمة حقه. وهو ما عبّر عنه الرضا والمغايرين دينيًا على حدّ السواء، وعلى سبيل المثال، أعلن كلّ طرف منهما على استعداد التام على الجواب على كلّ سؤال سيُطرح عليه. وهنا تنقسم المعرفة الخاصة بالآخر الديني إلى قسمين، معرفة يمتلكها المناظر بطبعه وسيوظّفها في السجال وهذا حال "الإمام" عليّ بن موسى الرضا حسب الخبر المروي، ومعرفة يجمعها المناظر خصيصًا ليشارك في هذا السجال. أيّ أنّ تشكّل هذه المعرفة سيبقى رهين المشاركة في مثل المناظرات، أو أنّها لا تتشكّل أصلاً. ممّا يعني أنّ الإقرار بوجود عديد المآخذ التي تسكن هذه المناظرات

لا يجب أن تحجب جهود الرضا والمغاييرين دينيًا على السواء في خلق فضاء لمعرفة الآخر والتخلص بصفة جزئية من كل الشوائب التي يُمكن أن تُصيب العلاقة مع هذا الآخر.

ونُشير إلى أن المسألة ستزداد تعقيدا إذا تجاوزنا مجرد البحث في مدى مساهمة مناظرات الإمام الرضا مع أهل الأديان الأخرى في بناء فضاء لمعرفة الآخر إلى البحث في مدى مساهمة هذه المناظرات وغيرها من المناظرات في الثقافة العربية الإسلامية - في تشكيل "علم الأديان" عبر مراحل التاريخ المتعاقبة. ذلك أن هذا العلم لم ينبثق مرة بشكل مكتمل وناجز، وإنما كان نابعا من تراكمات متعاقبة ومراجعات متلاحقة عبر التاريخ. ولكنه من التعسف أن نعتبر "علي بن موسى الرضا" دارسا للآخر الديني، لأن معرفته بهذا الآخر استثمارها في الجدل أساسا. فالمناظر يهدف إلى إسكات خصمه من المغاييرين دينيًا وقطعه بالحجة، أما علم الأديان فيهدف إلى دراسة الأديان دراسة علمية موضوعية، إذ "يُحلل ويقارن ويوضح ويسبر الأغوار محاولا أن يتفكر في الأمر بطريقة تحليلية صارمة توصل إلى توليف، عابرا من مستوى اختبار المقدس المعاش إلى مستوى فهمه"⁶⁴.

المصادر والمراجع

- 1- المناظرات: "هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب". يُنظر في: علي بن محمد السيد الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد الصديق المنشاوي، القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتصدير، دت، ص 195.
- 2- علي بن موسى بن جعفر الرضا: "هو الإمام الثامن من أئمة أهل البيت القائم بالإمامة بعد أبيه موسى بن جعفر، عليهما السلام، ولد في المدينة سنة 148 هـ، واستشهد في طوس من أرض خراسان في صفر 203 هـ، وله يومئذ 55 سنة، وكانت إمامته بعد أبيه 20 سنة". يُنظر في: جعفر السبحاني، الأئمة الاثنا عشر؛ دراسة موجزة عن شخصيتهم وحياتهم، بيروت، دار جواد الأئمة (ع)، ط 1، 2015، ص 107.
- 3- المأمون: "عبد الله (أبو العباس) بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، سابع الخلفاء العباسيين، ولد سنة 170 هـ وبويع بالخلافة سنة 198 هـ وتوفي سنة 218 هـ. ودُفن في طرطوس من أعمال تركيا اليوم. كان المأمون عالما محدثا نحويا لغويا". يُنظر في: قتيبة الشهابي، معجم ألقاب أرباب السلطان في الدول الإسلامية من العصر الراشدي حتى بدايات القرن العشرين، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ط 1، 1995، ص 84.
- 4- جورج بالاندييه، الأنثروبولوجيا السياسية، ترجمة علي المصري، بيروت، مجد: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 2، 2007، ص 150.
- 5- نادر الحمّامي، في المتخيل التاريخي الإسلامي: نحو الخروج من مأزق التأصيل، منشورات نيرفانا، ط 1، جانفي 2020.
- 6- الجاثليق: "يُراد به في الكنيسة متقدم الأساقفة". يُنظر في: طوبيا العنيسي الحلبي اللبناني، تفسير الألفاظ الدخيلة في العربية مع ذكر أصلها بحروفه، مصر، مكتبة العرب، ط 2، 1933، ص 79.
- 7- رأس الجالوت: ترجمة عربية للعبارة الأرامية "ريشي جالوتا"، وهي بالعبرية "روش جولا"، وتعني حرفياً "رئيس المنفى". وهو لقب أمير الجماعة اليهودية في بلاد الرافدين قبل الإسلام وبعده. يُنظر في: عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الرابع: الجماعات اليهودية تواريخ، القاهرة، دار الشروق، ط 1، 1999، ص 61.
- 8- الهرّب الأكبر: "المرجع الأعلى للمجوس". يُنظر في: باقر شريف القرشي، مناظرة الإمام الرضا مع الهرّب الأكبر، موقع المرجع الإلكتروني للمعلوماتية، نُزل بتاريخ 31 جويلية 2016، وشوهد بتاريخ 1 مارس 2025، وهو على الرابط التالي: <https://n9.cl/x82da2>

- 9- وعمران الصابي : كان واحدا من المتكلمين، وقد أسلم بعد مناظرته مع "الإمام" علي بن موسى الرضا. هذا ما ورد في نصّ مناظرة الرضا مع أهل الأديان الأخرى، ولكن لم نجد أيّ قرينة تدلّ على الدين السابق لعمران قبل أن يدخل الإسلام.
- 10- باب: "ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات في التوحيد عند المأمون". يُنظر في: محمّد بن علي بن بابويه القميّ، **عيون أخبار الرضا**، قم، منشورات الشريف الرضيّ، ط 1، 1378 هـ، ج 1، ص 139 - 158.
- 11- "احتجاج الرضا على أهل الكتاب والمجوس ورئيس الصابئين وغيرهم من أهل الشقاق". يُنظر في: أحمد بن عليّ الطبرسيّ، **الاحتجاج**، قم، منشورات الشريف الرضيّ، 1960، ج 2، ص 172 - 185.
- 12- "باب مناظرات الرضا علي بن موسى صلوات الله عليه احتجاجه على أرباب الملل المختلفة والأديان المتشكّكة في مجلس المأمون وغيره". يُنظر في: محمّد باقر المجلسي، **بحار الأنوار**، تحقيق لجنة من العلماء والمحقّقين الأخصائيين، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ط 1، 2006، المجلد 5 (ج 9 / ج 10)، ص 413 - 426.
- 13- خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، بيروت، دار العلم للملايين، ط 15، 2002، ج 5، ص 63.
- 14- أبو عليّ عمر السكوني، **عيون المناظرات**، تحقيق سعد غراب، تونس، منشورات الجامعة التونسية، 1976، ص 213.
- 15- المصدر نفسه، ص 212 - 213.
- 16- يُنظر على سبيل المثال في:
- شمس الدين الذهبيّ في كتاب، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2003، ج 5، ص 128 - 130.
- صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط - تركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 2000، ص 154 - 157.
- 17- عبد المجيد الشرفي، **الفكر الإسلامي في الردّ على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/ العاشر**، تونس، الدار التونسية للنشر، 1986، ص 162 (الهامش).
- 18- وعلى سبيل المثال لم تتحدّث مصادر الشيعة البتّة على المناظرة التي حصلت في مجلس المأمون بين كلثوم بن عمرو العتابي وابن فروة النصراني، إلّا أنّ "ابن النديم"، صاحب الميول الشيعة، قد ذكر بصفه عامة في الفهرست أنّ المأمون أجرى مناظرة بين علماء الكلماء وزعيم المانوية يزدانخت، فقطعه المتكلمون. يُنظر في:
- ابن النديم، **الفهرست**، بيروت، دار المعرفة، تحقيق إبراهيم رمضان، ط 2، 1997، ص 473.
- 19- "ونعتمد في كلّ ما نحكيه (التنوية) على ما أورده الحسن بن موسى النوبختي في كتاب الآراء والديانات لأنّه موثوق بحكايته". يُنظر في: القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني، **المغني في أبواب العدل والتوحيد**، تحقيق محمود محمّد الخضيري، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1958، ج 5، ص 9 - 10.
- 20- "قال أبو محمّد التوبختي : زعمت الملكية واليعقوبية أن الذي ولدت مريم هو الإله، رسول الشيطان لبعضهم أن المسيح ابن الله، وقال بعضهم : المسيح جوهران : أحدهما : قديم، والآخر : محدث". يُنظر في: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، **تلبيس إبليس**، بيروت، دار القلم، 1403 هـ، ص 72.
- 21- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة المدني، ط 7، 1998، ج 3، ص 200.
- 22- زين الدين بن علي الجبعي العاملي (الشهيد الثاني)، **البداية في علم الدراية**، تحقيق السيد محمّد رضا الحسيني الجبالي، قم، انتشارات المحلاتي، ط 1، 1421 هـ، ص 18.
- 23- **المرجع نفسه**، ص 18.
- 24- **المرجع نفسه**، ص 18.
- 25- أحمد بن علي النجاشي، **فهرس أسماء مصنفى الشيعة المعروف بعنوان "رجال النجاشي"**، بيروت، شركة الأعلمي للمطبوعات، ط 1، 2010، ص 38.
- 26- علي أكبر الغفاري، **دراسات في علم الدراية (تلخيص مقياس الهداية للعلامة المامقاني)**، جامعة الإمام الصادق، 1351 هـ، ص 135.
- 27- عبد الله المامقاني، **مقياس الهداية في علم الدراية**، تحقيق محمّد رضا المامقاني، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط 1، 1411 هـ، ج 1، ص 320.
- 28- محمّد بن علي بن بابويه القميّ، **المصدر نفسه**، ج 2، ص 173.
- 29- سامح عسكر، **ظاهرها الفكر وباطنها القتل... ألاعب السياسة في المناظرات الديني**، موقع رصيف، نُزّل بتاريخ 1 أكتوبر 2023، وشوهد بتاريخ 15 مارس 2025، وهو على الرابط: <https://n9.cl/nb0il>
- 30- نادر الحمّامي، **حياة عمّامو : كتابة التاريخ وقضايا المنهج والمصادر (الجزء الأول)**، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، نُزّل بتاريخ 21 جويلية 2018، وشوهد بتاريخ 15 مارس 2025، وهو على الرابط:

<https://n9.cl/8aiw2>

- ³¹ - حسن كريم ماجد الربيعي، **مناظرات الإمام الرضا عليه السلام في الردّ على اليهود والنصارى**، مجلة العقيدة، العدد 10، السنة الثالثة ذي القعدة 1437هـ - 2016 م، ص 255.
- ³² - أحمد محمد بن عليّ بن بابويه القميّ، **المصدر نفسه**، ج 2، ص 172.
- ³³ - شافية حدّاد السلامي، **نظرة العرب إلى الشعوب المغلوبة من الفتح إلى القرن الثالث هـ/ التاسع م**، لبنان، مؤسسة الانتشار العربي/ تونس، دار محمد علي الحامي للنشر، ط 1، 2007، ص 341.
- ³⁴ - أنور كيوان ازاد، **نظرة الخليفة العباسي (المأمون بن هارون الرشيد) إلى الأديان و المذاهب في دولته**، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، العدد 21، جوان 2019، ص 56.
- ³⁵ - محمد العيساوي، **جوانب من الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية خلال عهد الخليفة العباسي المأمون (198 هـ - 813 م / 218 هـ - 833 م)**، الجزائر المجلة التاريخية الجزائرية، الجزائر، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، العدد 10، ديسمبر 2018، ص 27.
- ³⁶ - أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي والأندلسي**، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط 1، 1971، ص 106 - 107.
- ³⁷ - Richard Jenkins, *Social identity*, Routledge, London – New York, U.S.A, 2004, p 112.
- ³⁸ - ابن النديم، **الفهرست**، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، دت، ص 473.
- ³⁹ - أحمد محمد بن عليّ بن بابويه القميّ، **المصدر نفسه**، ج 2، ص 184.
- ⁴⁰ - توين فان دايك، **الخطاب والسلطة**، ترجمة عياد عليّ، مراجعة وتقديم عماد عبد اللطيف، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط 1، 2014، ص 85.
- ⁴¹ - محمد بن عليّ بن بابويه القمي، **المصدر نفسه**، ج 2، ص 173.
- ⁴² - **المصدر نفسه**، ج 2، ص 172.
- ⁴³ - تذكر المراجع الشيعة عديد الدوافع التي دفعت المأمون إلى تعيين علي بن موسى الرضا وليا للعهد، منها: " تهدئة الأوضاع المضطربة بعد الاضطرابات التي حدثت جراء القتال الدامي بين "المأمون" وأخيه الأمين/ تحسين صورته أمام الناس بأنه يحب أهل البيت عليهم السلام وليس كما كان عليه والده هارون/ إضفاء الشرعية على حكمه وتحقيق ما يصبو إليه مستفيدا من الولاء الفكري والعاطفي للإمام الرضا في نفوس المسلمين/ إرضاء العلويين والذين رفعوا لواء الثورة ضد السلطة الجائرة في مناطق عديدة من الدولة العباسية...". يُنظر في: جميل ظاهري، **الإمام الرضا وولاية عهد المأمون.. الأسباب والدوافع**، موقع المرجع الإلكتروني للمعلوماتية، شوه بتاريخ 26 مارس 2025، وهو على الرابط: <https://n9.cl/4f4o4d>
- ⁴⁴ - تذكر المراجع أيضا عديد الدوافع التي دعت "الإمام" إلى القبول ولاية العهد، من أهمها: "التهديد بالقتل وبالعلن خلال عرض "المأمون" للإمام الرضا بقبول الخلافة أو ولاية العهد ورفض الامام لهما/ استثمار الظروف لإقامة الدين وإحياء السنة النبوية المحمدية الاصلية عبر الحرية النسبية الممنوحة للإمام الرضا بذريعة ولاية العهد ولأهل بيته وأنصاره/ تصحيح الأفكار السياسية الخاطئة حول تصدي أهل الدين للسياسة...". يُنظر في: **المرجع نفسه**.
- ⁴⁵ - ومما يؤكّد ما ذهبنا إليه أننا لم نجد حسب المصادر التي توقّرت بين أيدينا أي مصدر من المصادر الشيعية يتحدّث عن مناظرات لإمام علي بن موسى الرضا مع أهل الأديان الأخرى خارج مجلس المأمون.
- ⁴⁶ - جعفر السبحاني، **دافع المأمون الرئيسي من وراء إقامة مجالس المناظرة**، موقع المرجع الإلكتروني للمعلوماتية، نُزّل بتاريخ 19 ماي 2015، وشوهد بتاريخ 27 مارس 2025، وهو على الرابط: <https://n9.cl/0tedg>
- ⁴⁷ - محمد بن علي بن بابويه القمي، **المصدر نفسه**، ج 2، ص 171 وص 176.
- ⁴⁸ - **المصدر نفسه**، ج 2، ص 172 وص 178.
- ⁴⁹ - **المصدر نفسه**، ج 2، ص 179.
- ⁵⁰ - **المصدر نفسه**، ج 2، ص 175.
- ⁵¹ - نادر الحامي، **في المتخيل التاريخي الإسلامي: نحو الخروج من مأزق التأصيل**، ص 72.
- ⁵² - ابن المنظور، **لسان العرب**، بيروت، دار الصادر، دت، المجلد 2: ص 98/ والمجلد 6: ص 62.
- ⁵³ - Adrian Blackledge, **Discourse and Power in Multilingual World**, John Benjamins Publishing, U.S.A-Netherlands, 2005, p 10.
- ⁵⁴ - محمد بن علي بن بابويه القمي، **المصدر نفسه**، ج 2، ص 173.
- ⁵⁵ - حمّادي المسعودي، **الظاهرة الدينية: من علم اللاهوت إلى علم الأديان المقارن**، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، المملكة المغربية: الرباط، ط 1، 2018، ص 295.
- ⁵⁶ - محمد بن علي بن بابويه القمي، **المصدر نفسه**، ج 2، ص 173.

- 57- محمّد بن باقر المجلسي، بحار الأنوار: الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار عليهم السلام، تحقيق وتصحيح لجنة من العلماء والمحققين والأخصائيين، بيروت، منشورات الأعلمي للمطبوعات، ط 1، 2008، ج 26، ص 359.
- 58- عبد المجيد الشرفي، المرجع نفسه، ص 186.
- 59- محمّد بن علي بن بابويه القمي، المصدر نفسه، ج 2، ص 173.
- 60- المصدر نفسه، ج 2، ص 183.
- 61- المصدر نفسه، ج 2، ص 175.
- 62- أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق حفي محمد شرف، القاهرة، مكتبة الشباب/ مطبعة الرسالة، ط 1، 1969، ص 177.
- 63- المرجع نفسه، ص 177.
- 64- ميشال مسلان، علم الأديان مساهمة في التأسيس، ترجمة عز الدين عناية، أبو ظبي، المركز الثقافي العربي، ط 1، 2009، ص 21.